

## تمهيد

اللفظ هو ما يتلفظ به الإنسان من الكلام. والمعنى هو المقصود باللفظ. فاللفظ والمعنى شرطه وجود القصد. إذ لم يعتبر القصد لا يسمى كلاما.

واللفظ في الاصطلاح "ما يتلفظ به الإنسان أو في حكمه، مهما كان أو مستعملا.. والمعنى في الاصطلاح هو الصورة الذهنية للفظ، الصورة الحاصلة في العقل.

## إشكالية اللفظ والمعنى

شغلت قضية اللفظ والمعنى النقاد قديما، فقد تناولها مفكروا اليونان، فالكلمات عند أرسطو رموز للمعاني، ووسيلة للمحاكاة وهي متفاوتة فيما بينها في الجمال والقبح، وليست الكلمات متماثلة في دلالتها على المعنى.

كما تناولها النقاد العرب كثيرا، فحاولوا تحديد المقاييس الموضوعية التي تبرز جمال العمل الأدبي، وذهبوا فيها مذاهب مختلفة، "وانقسم الناس إلى من يؤثر للفظ على المعنى فيجعله غايته، و من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ، وقبحه، وخشونته"<sup>1</sup>.

وتحدثوا عن صلة اللفظ بالمعنى، وخفة اللفظ وتناثر الألفاظ واقتران الحروف فيها، وسخافة الألفاظ، وذكروا صفات اللفظ وعيوبه وصلته بالبيئة.

وتكلموا على ائتلاف اللفظ مع اللفظ وعلى ائتلاف اللفظ مع المعنى وائتلاف اللفظ والوزن، ووضعوا للألفاظ شروطا ينبغي التقيد بها ولخصها ابن سنان في ثمانية<sup>2</sup>:

- أن يكون تأليف اللفظ من حروف متباعدة المخارج

- أن يكون لتأليف اللفظ في السمع حسن ومزية على غيره

- أن تكون الكلمة غير متوعدة وحشية

- أن تكون الكلمة غير ساقطة عامية

<sup>1</sup> - أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، ص 340.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 341.

-أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة

-أن لا تكون الكلمة قد عُبر بها عن أمر آخر يكره ذكره

-أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف

-أن تكون الكلمة مصغرة في موضع عُبر بها فيه عن شئ لطيف أو خفي أو قليل أو ما

يجري مجرى ذلك.

### اللفظ والمعنى في النقد القديم

وأول من تحدث عن هذه القضية الأصمعي (مالك بن قُريب (210هـ) وبشر بن المعتمر، فقد سئل الأصمعي: من أشعر الناس؟ فقال من يأتي إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا، أو إلى الكبير فيجعله بلفظه خسيساً<sup>1</sup>، ومن خلال قوله يبدو أنه جعل المعنى تابعا للفظ.

وتحدث بشر بن المعتمر (210هـ) في صحيفته عن علاقة اللفظ بالمعنى، مؤكدا ضرورة التناسب بين الحال والمقال، فقال: "وأياك والتوعر، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك. ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف"<sup>2</sup>.

ثم بين المنازل الثلاث للمعاني: "فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معنك ظاهرا مكشوفاً، وقريبا معروفاً، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت. والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال"<sup>3</sup>.

وتصدى الجاحظ (255هـ) لدرس شؤون البلاغة والبيان، فجمع فيه ملاحظات العرب البيانية، وبعض ملاحظات غيرهم فقال عن اللفظ: "وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ

<sup>1</sup> - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المتنى ببغداد، 1963، ص 194.

<sup>2</sup> - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5، 1985، ص136.

<sup>3</sup> - نفسه، ن ص.

عامياً، وساقطاً سوقياً، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً\*، إلا أن يكون المتكلم بدوياً أعرابياً، فإن الوحشي من الكلام، يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة\* السوقي. وكلام الناس في طبقات، كما أن الناس أنفسهم في طبقات...<sup>1</sup>. فاسوقس عنده طبقة من طبقات الكلام يناسب طبقة من الناس.

ونسوق في هذا المجال قصة الشاعر علي بن الجهم مع الخليفة المتوكل: إذ يُقال إن علي بن الجهم عاش في شبابه في بيئة صحراوية قاسية، على الرغم من الشاعرية الفذة التي تتأجج في صدره، إلا أن البيئة تؤثر في الإنسان وتتكون في شخصيته آثارها، لذا قيل عن علي بن الجهم إن قساوة البادية أثرت فيه كثيراً، ولكم هذه القصة عن هذا الشاعر.. وهي من كتاب محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار (ج2، ص3) لمحي الدين بن عربي نقلها بتصريف عن كتاب: قصص العرب لمحمد أحمد جاد المولى وآخرون: "قدم علي بن الجهم على المتوكل - وكان بدوياً جافياً - فأنشده قصيدة أثرت فيه البادية كثيراً، مع أنه كان رشيق المعاني لطيف المقاصد إلا أن الحياة الجافة أثرت على ألفاظه، فذات مرة ضاقت به الحال فذهب إلى المتوكل على الله لينشده الشعر، فعندما دخل على المتوكل قال<sup>2</sup>:

أنت كالكلب في حفاظك للود وكالتيس في قراع الخطوب

أنت كالدلو لا عدمناك دلوا من كبار الدلا كثير الذنوب\*

فعرف المتوكل قوته، ورقة مقصده، وخشونة<sup>3</sup> ألفاظه، وأنه ما رأى سوى ما شبه به

لبعد المخالطة وملازمة البادية، فأمر له بدار حسنة على شاطئ دجلة، فيها بستان حسن،

---

\*-اللفظ الوحشي، الحوشي: هو الغريب الذي ينفرمه السمع ويثقل النطق به.

\*- السوقي: طبقة من طبقات الكلام يناسب طبقة من الناس. والرطانة: الكلام غير المفهوم

<sup>1</sup>- الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص144.

<sup>2</sup>- محمد أحمد جاد المولى وآخرون، قصص العرب، ج3، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط

4، 1382هـ- 1962، ص298.

\*- الدلا: أصلها الدلاء وهي جمع دلو. كثير الذنوب: أي كثير السيئات

<sup>3</sup>- الكلام الخشن: هو المسيء للذوق السليم أو الأخلاق، اللفظ.

يتخلله نسيم لطيف يغذي الأرواح والجسر قريب منه، فيخرج إلى محلات بغداد، فيرى حركة الناس ومظاهر مدنيتهم ويرجع إلى بيته.

فأقام ستة أشهر على ذلك والأدباء والفضلاء يتعاهدون مجالسته ومحاضرتة، ثم استدعاه الخليفة بعد مدة لينشده؛ فحضر وأنشد قصيدة تعتبر أروع ما قاله، قوامها 56 بيتا، كل بيت أروع من البيت الذي قبله، حتى قال عنها الشعراء، لو لم يكن لديه إلا هي تكفيه أن يكون أشعر الناس. نأخذ منها هذه الأبيات:

جلبنا الهوى من حيث أدري ولا أدري	عيون المها بين الرصافة والجسر
سلوت ولكن زدن جمرا على جمير	أعدن لي الشوق القديم ولم أكن
تشك بأطراف المثقفة السُمر	سلمن وأسلمن القلوب كأنما
تضيء لمن يسري بليل ولا تقري	وقلن لنا نحن الأهله إنما
ولا وصل إلا بالخيال الذي يسري	فلا بذل إلا ما تزود ناظر

فقال المتوكل: لقد خشيت عليه أن يذوب رقة ولطافة.

ويعد الجاحظ من أنصار اللفظ، وهو يقول: "والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإن الشعر صناعة، وضرب من النسيج والتصوير"<sup>1</sup>.

وقد اشتهر ابن قتيبة (322هـ) بتقسيمه الشعر إلى أربعة أضرب، زواج فيها بين اللفظ والمعنى، فقال إن الشعر على أربعة أضرب:<sup>2</sup>

قال أبو محمد: تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب.

1-ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول القائل في بعض بني أمية:

أوس بن حجر:

<sup>1</sup> - الجاحظ: الحيوان، ج3، ص131-132. نقلا عن: محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث الأدبي، ص329-330.

<sup>2</sup> - ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص 64 وما بعدها.

أيتها النفس أجملِي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا  
وكقول أبي ذؤيب الهذلي:

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

2- وضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة (لأن مدار الكلام

على الفائدة) في المعنى، كقول القائل:

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح  
وشدّت على حُذْب المهاري رحالنا ولا ينظر الغادي الذي هو رائح  
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح

وهذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء مخرج ومطالع ومقاطع وإن نظرت إلى ما تحتها من  
المعنى وجدت: ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان، وعالينا إبلنا الأنضاء ومضى الناس  
لا ينظر الغادي الرائح، ابتدأنا في الحديث، وسارت المطي في الأبطح. وهذا الصنف من  
الشعر كثير.

3- وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه، كقول لبيد ربيعة:

ما عاتب المرء الكريم نفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح  
هذا وإن كان جيد المعنى والسبك، فإنه قليل الماء والرونق.

4- وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه، كقول الأعشى في امرأة:

وفوها كأقاحي غداه دائم الهطل

كما شيب براح با رد من عسل النحل

وتحدث عن ذلك ( ابن طباطبا العلوي (322هـ) في عيار الشعر فقال: "وللمعاني

ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها، وتقبح في غيرها، فهي لها كالمعرض للجارية الحسنة التي تزداد  
حسنا في بعض المعارض دون بعض، وكم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذي أبرز  
فيه، وكم معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه..."<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - ابن طباطبا: عيار الشعر، ص8.

وحدد قدامة بن جعفر (337هـ) المعاني في كتابه نقد الشعر في ستة أنواع كل منها ذو حدين: جيد وريء. ولها سبع صفات، كل صفة موجبة ونقيضتها. والمعاني -عنده- تقع في الأغراض التالية: المديح، والهجاء، والمراثي، والتشبيه، والوصف والنسيب<sup>1</sup>، ولكل غرض من هذه الأغراض حسنات وعيوب، فالحسنات تتمثل في: صحة التقسيم، وصحة المقابلات، وصحة التفسير، والتنميم، والمبالغة، والتكافؤ، والالتفات. والعيوب تتمثل في: الإخلال والزيادة، فإذا تركبت هذه المعاني مع الألفاظ اقتضى أن تتوفر المساواة، والإشارة، والإرداف، والتمثيل، والمطابقة، والمجانسة<sup>2</sup>.

وتابع أو هلال العسكري (395هـ) الاهتمام بعنصري اللفظ والمعنى، فقال: "وليس الشأن في إيراد المعاني، لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي، والقروي والبدوي، وإنما هو في جودة اللفظ وصفاته، وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه، وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السبك والتركيب، والخلو من أود النظم والتأليف. وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صوابا، ولا يقع مع اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التي تقدمت"<sup>3</sup>.

ولم يفت هذا الأمر ابن رشيق (456هـ) فقال: اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهُجنة عليه، كما يعرض لبض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك، من غير أن تذهب الروح، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظا، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح، ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ، وجريه فيه على غير الواجب، قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح، فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين، إلا أنه لا ينتفع به ولا

<sup>1</sup> - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص58.

<sup>2</sup> - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ن ص. ينظر تفصيل هذه المصطلحات في كتاب: علم البديع للدكتور عبد العزيز عتيق.

<sup>3</sup> - أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص73. نقلا عن: محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث الأدبي، ص331.

يفيد فائدة، وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى؛ لأننا لا نجد روحا في غير جسم البتة<sup>1</sup>.

أما عن أيهما أثر، اللفظ أم المعنى، يقول ابن رشيق للناس فيهما آراء ومذاهب: "ثم للناس فيما بعد آراء ومذاهب: منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته ووكده، وهم فرق: قوم يذهبون إلى فخامة الكلام وجزالته، على مذهب العرب من غير تصنع كقول بشار:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

إذا ما أعرنا سيذا من قبيلة ذرى منبر صلى علينا وسلما

ومنهم من ذهب إلى سهولة اللفظ فعنى بها، واغترق له فيها الركافة واللين المفرط: كأبي العتاهية، وعباس بن الأحنف، ومن تابعهما، وهم يرون الغاية قول أبي العتاهية:

يا إخوتي إن الهوى قاتلي فيسروا الأكفان من عاجلي

ولا تلوموا في اتباع الهوى فإنني في شغل شاغل

ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته، ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته: كابن الرومي، وأبي الطيب، ومن شاكلهما: هؤلاء المطبوعون، فأما المتصنعون فيرد عليك ذكرهما إن شاء الله تعالى<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص 124

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص ن.